تجلياتُ الصمتِ ومظاهرُ الاقتصادِ اللغوي في القرآن الكريم

أ.م.د. مهدي عبد الامير

كلية العلوم الاسلامية / جامعة بابل

أ.م.د. سامر عبد الكاظم

كلية التربية الأساسية / جامعة بابل

Manifestations of silence and aspects of linguistic economy in the Holy Quran

Asst.Prof.Dr. Mahdi Abdul-Amir

College of Islamic Sciences / University of Babylon

Asst.Prof.Dr. Samer Abdul-Kadhim

College of Basic Education / University of Babylon

Email: samrjlab940@gmail.com

ملخص البحث

الصمت ميتا لغة عالية ، يكشف عن المعنى عن طريق خفي، فهو أثر يكشف حضوره عن طريق غيابه ،فهو حاضر غائب ، والصمت يتخلل الكلام ويعاضده.

والصمت مصطلح أوسع من الاقتصاد اللغوي ، فهو غياب تام عن الكلام وله اشتغالات متعددة سواء أكانت في النص القرآني أم في غيره، والاقتصاد اللغوي مظهر من مظاهر الصمت في النصوص الإبداعية ، يعالج البحث تجليات الصمت في النص القرآني واشتغالاته، وأنواعه المتحققة في النص .

قسّمنا البحث على تمهيد ومبحثين وخاتمة ، تحدثنا في التمهيد عن مفهوم الصمت وعلاقته بالاقتصاد اللغوي وشموليته ، فضلا عن تشعبات الصمت وامتداداته في الدراسات اللغوية والبلاغية والادبية ، في حين توقف المبحث الأول عند الصمت داخل التركيب اللغوي ، وفي المبحث الثاني تحدثنا عن الصمت داخل السرد القرآني.

ثم جاءت الخاتمة لتلم شتات البحث لتُخرج أهم ما توصلنا اليه .

الكلمات الافتتاحية : الصمت، التجليات، المظاهر، الاقتصاد اللغوي، البلاغة.

Abstract

Silence is a metaphor for a high language. It reveals the meaning through a hidden means. It is an effect that reveals its presence through its absence. It is present and absent, and silence permeates and supports speech.

Silence is a broader term than linguistic economy, as it is a complete absence of speech and has multiple functions, whether it is in the Qur'anic text or otherwise, and linguistic economy is an aspect of silence in creative texts.

We divided the research into an introduction, two chapters, and a conclusion. In the preface, we talked about the concept of silence and its relationship to the linguistic economy and its comprehensiveness, as well as the ramifications of silence and its extensions in linguistic, rhetorical and literary studies, while the first topic stopped at silence within the linguistic structure, and in the second topic we talked about silence within the Qur'anic narrative.

Then came the conclusion to gather the diaspora of research to bring out the most important what we have reached

Key words: Silence, manifestations, manifestations, linguistic economy, rhetoric.

التمهيد

أولاً: الصَّمْتُ عند أهل المعاجم

((الصاد والميم والتاء أصلٌ واحدٌ، يدلُّ على إبهامٍ وإغلاق))[١]، والصَّمْت والصّماتُ والصّموت بمعنى واحد ، والفعل صَمَت يصمُتُ، وصَمَتَ يَصْمُتُ صَمْتًا وصُموتًا بمعنى سَكَتَ ، والصُّمُوتُ والصُّماتُ : السكوت، وقيل: طُولُه، والتَّصْميتُ: التَّسْكِيت، وهو أيضًا: السكوت[٢].

يقول ابن فارس: ((والصّموت: الدروع اللينة التي إذا صبها الرّجل على نفسه لم يُسمع لها صوت))[٣]، وتركتهُ في بلدة اصْمِت: وهي القَفرةُ التي لا أحَد بها ، وقيل: سميت بذلك لكثرة ما يَعرِضُ فيها من الخوف ، إذ كأنَّ كلّ واحد يقول لصاحبه: اصمت[٤].

أقول: لعلَّه سميت بذلك لقفرها وخوف من يمشي فيها فيخيم عليهم الصَّمْت، لا لقول أحدهم لصاحبه :اصمت، فهم من خوفهم ورهبتهم صامتون. والدليل على ذلك أنَّ أحدهم يقول لصاحبه : اصمت في أماكن متعددة ولكن لم يسموا أيًا منها (اصمت) بخلاف البلدة القَفْر التي لا أحد بها ، ويقول البغدادي: ((اصمِت علم للفلاة سميت بذلك لأنّه لا انيس بها فينطقوا ، أو لأنّها لشدتها تُصمت سالكها، والدليل تشتبه عليه طرقها فلا يتكلم لأنَّه لا يتضح له الهدى فيها))[٥].

ثانيًا: الصَّمْتُ عند علماء اللغة والبلاغة

لا يختلف مفهومُ الصَّمْتِ عند علماء اللغة والبلاغة كثيرًا عن مفهومه عند أهل المعجمات، فعلماء اللغة والبلاغة يصطلحون عليه بـ (الإيجاز والحذف) ، وقد عُرِّفت

(١) مقاييس اللغة: ٣/ ٣٠٨(صمت).
(٢) ينظر: لسان العرب: ٢/ ٥٤(صمت)، وتاج العروس: ٤/ ٥٩١ (صمت).
(٣) مقاييس اللغة: ٣/ ٣٠٨(صمت).
(٤) ينظر: تاج العروس: ٤/ ٥٩٣(صمت).
(٥) خزانة الادب ولب لباب لسان العرب : ٧/ ٣٢٧.

البلاغة عندما سُئل بعضهم عنها بأنّها: ((الإيجاز من غير عجز))[١]. ((وقال ابن الأعرابي: فقلت للمفضل ما الإيجاز عندك؟ قال: حذف الفضول وتقريب البعيد))[٢].

والحذفُ والإيجازُ من أبرز مظاهر الصَّمْت الذي هو عدم الكلام والنطق، وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى الصَّمْت بقوله عن الحذف: ((هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذِكْر أفْصَحُ من الذكر، والصَّمْت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تَنْطِق، وأتم ما تكونُ بيانًا إذا لم تُبِنْ))[٣]، فالمحذوف والمتروك من الكلام مسكوتٌ عنه، والحذفُ/ الصَّمْتُ يؤدي المعنى كما الصوت، وربَّما يفوقهُ في بعض المواقف، فـ((الحذف صمتٌ، والصَّمْت أعلى درجات الإفصاحية في اللغة العُليا، وهو صنو الصوت والصورة))[٤].

فالصمت اقتصاد كامل للكلام، بمعنى عدم الكلام مطلقًا، فضلًا عن مزاوجته للكلام، فتنتج دلالة معمقة من رافدي الكلام والصمت.

وقد جرى مصطلح (السكوت) في كتاب سيبويه لبيان العبارة التي يفهمها السامع، وقد أوجزها المتكلم بحذف الخبر مثلًا، ففي الحديث عن إضمار الخبر بعد (إذا) الفجائية قال: ((الإضمار يحسن هاهنا، ألا ترى أنك تقول: مررتُ به فإذا أجمل الناس، ومررتُ به فإذا أيُّما رجلٍ))[٥]، يريد الوجه الذي يُسكتُ عليه، وهو إذا كان بعد (إذا) مبتدأ جاز أنْ يسكت خبرها[٦]، وعقد سيبويه بابًا قال فيه: ((هذا باب ما يحسن عليه السكوت في هذه الأحرف الخمسة لإضمارك ما يكون مستقرًا لها وموصفًا لو أظهرته، وليس نفسه المظهر، وذلك: إنّ مالًا ،وإن ولدًا وإن عددًا، اي إن لهم مالًا))[٧].

(١) البيان والتبين: ١/ ٦٧.
(٢) البيان والتبيين: ١/ ٩٩، وينظر: العقد الفريد: ٢/ ١٢٣.
(٣) دلائل الإعجاز: ١/ ١٤٦.
(٤) العلامة البصرية والبُنى الرامزة: ٦٨ .
(٥) الكتاب: ٣/ ٧٦ .
(٦) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١٢٠
(٧) الكتاب لسيبويه: ٢/ ١٤١.

وقد عدّ بعض البلاغيين (السكوتَ) من البلاغة، فهذا ابن المقفع عندما سُئل ما البلاغة؟ قال: ((البلاغةُ اسمٌ جامعٌ لمعانٍ تجري في وجوهٍ كثيرةٍ، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع ...))[١].

ويستعمل البلاغيون مصطلح الإشارة أيضًا وهي الإيماء، يُقال: أشار باليد أو أومأ، وأشار الرجل يُشير إشارة إذا أومأ بيديه[٢]. وعدّها الجاحظ من أنواع البيان[٣] واستعملها بعض البلاغيين بمعنى الإيجاز[٤]، يقول قدامة بن جعفر عن الإشارة :((أنْ يكون اللفظ القليل مشتملًا على معانٍ كثيرة بإيماء إليها ولمحة تَدُلُّ عليها، كما قال بعضهم، وقد وصف البلاغة فقال: هي لمحةٌ دالةٌ))[٥].

وقال عنها ابن رشيق: ((وهي في كلِّ نوعٍ من الكلام لمحة دالة، واختصار وتلويح يعرف مجملًا ومعناه بعيد من ظاهر لفظه))[٦]، فالإشارة كلامٌ مختصٌر مُجْمَلٌ يَصْمُتُ المتكلم به عن التفاصيل ويقتصد فيه إلى حدٍّ كبيرٍ بالألفاظ، ويتحدث عنها الجاحظ بقوله: ((ورأينا الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني اسرائيل، أو حكى عنهم جعله مبسوطًا وزاد في الكلام))[٧].

فالإشارةُ والرمزُ والحركةُ كلُّها كلامٌ، ولكنه غير لفظي وغير مصوت، فهي لغات صامتة من جهة عدم ارتباطها بالصوت، وهي كلامٌ ولغاتٌ ناطقةٌ من جهة إبانتها ونقلها لما يريد المرسِل أنْ يرسلَهُ من رسائل إلى الآخرين، فهي بيان من جهة واقتصاد لغويٌّ من جهةٍ أخرى ، وهذا ما أشار إليه الجاحظ، وأكّده عند حديثه عن دلالات البيان وعدّ منها الإشارةَ والنَّصْبَةَ ((فأما الإشارة باليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب إذا تباعد الشخصان

(١) البيان والتبيين: ١/ ١١٤.
(٢) ينظر: لسان العرب ٤/ ٤٣٧ (شور).
(٣) ينظر: البيان والتبيين: ١/ ٨٣ .
(٤) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ١٢٢-١٢٤ .
(٥) نقد الشعر لقدامة: ١٥٢، ، وينظر: حلية المحاضرة في صناعة الشعر: ١/ ١٣٩.
(٦) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ١/ ٣٠٢.
(٧) الحيوان: ١/ ٦٤ .

وبالثوب وبالسيف، وقد يتهدد لدافع السيف والسوط فيكون ذلك زاجرًا ومانعًا رادعًا ويكون وعيدًا وتحذيرًا))[١].

و((أما النِّصْبَةُ فهي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشير بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض، وفي كل صامت وناطق ، وجامد ونامٍ ومقيمٍ وظاعنٍ وزائد وناقص، فالدّلالة التي في الموات الجامد كالدّلالة التي في الحيوان الناطق، فالصامت ناطق من جهة الدّلالة ، والعجماء معربة من جهة البرهان))[٢]، ويسميها ابن وهب : بيان الاعتبار[٣]، وهو يقابل بيان الحال ، أو النصبة ، أو بيان الدليل عند الجاحظ[٤].

نفهم مما تقدم الحذفُ والإيجازُ والمسكوتُ عنه ضربٌ من الاقتصاد اللغوي الذي يدخل تحت مفهوم الصمت الصَّمْتِ؛ لأنَّه حذفٌ متعمدٌ للكلمات/ الأصوات، ولما كانت البلاغة في الإيجاز فنستطيع أنْ نقول: إنَّ البلاغة في الاقتصاد/ الصَّمْت. وهذا ما أكده الجرجاني بقوله: ((والصَّمْت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانًا اذا لم تبن))[٥] ، ولكن بشرط أنْ يكون هذا الحذف وهذا الإيجاز غير مخلٍّ بالمعنى، فالمتكلم ((ينبغي له أنْ يحذف بقدر ما لا يكون سببًا لإغلاقه))[٦]، وهناك نوع من الكلام نستطيع أنْ نسميه (الكلام الصامت) وهو الذي ينطق من غير صوت، وهو ما يعبّر عنه بلسان الحال، فالكلام الصامت هو تلفظٌ غائب أو بالغياب[٧].

فالصَّمْتُ يمثِّل الكلام غير المرئي وغير المسموع في النَّصِّ، أي إنّه يمثِّل غياب الصَّوت الذي يكون هذا الغياب دليلًا على حضوره، ومن ثمّ نُطقه وتعبيره وتوصيله للدلالات المتنوعة والمتعددة بحسب السياق.

(١) البيان والتبيين: ١/ ٨٣.
(٢) البيان والتبيين: ١/ ٨٦.
(٣) البرهان في وجوه البيان: ٢٥ .
(٤) ينظر: بنية العقل العربي: ٣٤ .
(٥) دلائل الإعجاز:١/ ١٤٦.
(٦) الحيوان: ١/ ٦٢.
(٧) مدخل إلى الصَّمْت في النص السردي: ١٠ (بحث) .

فالصَّمْتُ على كونه غيابًا للكلام، أو امتناعًا عن إنجازه، ومن ثمّ انعدامًا للعلامة الدالة على حضور المتكلم[١]؛ فإنّه قد يكون أبلغ من الكلام في بعض المواضع وأقوى تعبيراً عمّا يجيش في الوجدان، وعمّا يترجرج في الخاطر، فـ((الصَّمْتُ لا يُعدّ نقيضًا للكلام، وإنّما هو في حُكم الملفوظ به، مُرادفٌ له وأزيد إفادة منه))[٢] وخاصةً في بعض المواقف التي يكون الصَّمْت فيها هو الطريق الوحيد لنقل المعنى إلى المقابل[٣]، فبعض المواقف تتطلب اقتصادًا للكلام، وبعضها يتطلب انعدامًا تامًا للكلام، فالصمت اقتصاد مركز، بحيث ينعدم الكلام تمامًا، وهذا قمة الاقتصاد، ومن هنا نُدرك أنَّ غياب فعل الكلام ليس معناه غياب الحضور والدلالة دائمًا، ثُمَّ أنّ الصَّمْت ليس هو انعدامًا للعلامة بما هي علامة – أي مطلق العلامة – بل هو انعدامٌ لعلامةِ الصَّوتِ المُفهِمِ للآخرين، أي غياب الصَّوت الذي فيه معنى، والذي يرتب المتلقي عليه أثَرًا، وإذا لم يكن كذلك فهو صمتٌ دلالي، أو صمتٌ مُصَوِّت[٤].

فالاقتصاد اللغوي/ الصَّمْتَ يُمثلُ عمق اللغة؛ لأنَّه كامنٌ وراءَ هيكلتها الظاهرة، فهو يُمثِّل باطنَ الشيء الذي يكشف ظاهره ويوضحه للوصول إلى المعنى، ولهذا عندما نقول: إنَّ شخصًا ما صامتٌ فإنَّنا لا نعني بذلك أنّه لا يكون لديه شيءٌ يُقال، بل الأمر على العكس من ذلك، فإنّ هذا الصَّمْتَ في الحقيقة نوعٌ من الكلام، فـ((الصَّمْتُ فلسفةٌ ناطقةٌ تُعبِّر عمّا هو داخليّ ومبطَّن، وتمنحه موقفًا ناضجًا ومؤثِّرًا وبليغًا يجعل من الصَّمْت –هنا– لا يعدو أن يكون كلامًا وحوارًا داخليًا (مضمرا)، بل هو على حدِّ تعبير كيركيجور: ((ماهية أصيلة للجوانية والحياة الباطنية والذين يعرفون كيف يصمتون هو وحدهم القادرون على الكلام بشكلٍ أصيل))[٥].

(١) ينظر: سيميائية الكلام والصّمت في نماذج من الشعر العربي الحديث: ٢١٦ (بحث).
(٢) في بلاغة الخطاب الأدبي بحث في سياسة القول: ٢٠ .
(٣) ينظر: بلاغة الصّمت في التعبير المسرحي: ١ (بحث).
(٤) ينظر: الصّمت بوصفه فرضاً في الدراما المعاصرة: ٦ (بحث).
(٥) الطاقة الدرامية في لغة الصّمت المسرحي: ١٧ (بحث).

فالاقتصاد اللغوي يكون من طريق تداخل الصوت/ الكلام والاقتصاد/ الصمت، فالصوت هو الكلام القليل الموجود في النص، والاقتصاد هو الدلالات المتحققة من انعدام الكلام، وبذلك يكون الاقتصاد قد جمع دلالات الكلام ودلالات الصمت، وغمر النص بفيض الدلالات التي يمكن للمتلقي أن يحللها ويفكُّ شفراتها وصولًا للمعنى الذي ينفتح على لا نهائية المعنى.

المبحث الأول: الصمت في اللغة

في جسد اللغة مواضع ارتفاعٍ وانخفاضٍ وقوةٍ وضعفٍ للصوت تمثُل صائتَهُ وصامتَهُ، ولا بدَّ أنَّها مقبلةٌ على أداء المعنى بالكيفيَّة التي يريدها صاحب المعنى في استعماله، ولا يعني هذا وجودها في جسد لفظة مفردةٍ، فقد تكون، ولكن المهم أن تكون في التركيب بين الألفاظ وفي الجمل الكبرى وفي الفقرات، وعموماً في هيكل النَّصِّ كلِّه، ابتداءً من أصغر وحدة وصولًا إلى أكبر وحدة.

واللغةُ في إشارتها تتوجه إلى الخارج لتعبِّر بدوال الصَّمْت عن معانٍ ودلالات بعينها في أغراض متعددة، وهي في داخليتها تتصف بصمتيات في كيانها الذاتي ممكن الإفادة منها واستثمارها لأداء المعنى بأقل الالفاظ إن لم يكن من دونها تمامًا تحقيقًا للاقتصاد التام المطلق للغة.

والصَّمْتُ هو انقطاعُ الكلام/ الصَّوت وغيابُهُ ليؤدي معنى/ معاني مقصودة، وهذا الانقطاع كما يكون نقيضًا للكلام/ الصَّوت، يكون داخل الكلام/ الصَّوت نفسه أي بمعنى إنّ المتكلم يصمت عن أشياء ولا يذكرُها في كلامهِ، فهو من جهةٍ يتكلم ويتحدث عن أشياء معينة، وفي الوقت نفسه يصمت عن أشياء أخرى ويخفيها، فيكون الصَّمْتُ داخلَ اللغة نفسها؛ لأنَّ المعنى الكلي للنَّصِّ لا يتحقق بما يُقال فقط، ولكن بما سكت عنه النص وبما لم يقله، فالاقتصاد اللغوي/ الصَّمْتُ شكلٌ جماليٌّ يستهدفُ مخاطبة المتلقي قصد إشراكه في تكوين النَّصِّ، فهو يمثل استراتيجيَّةَ تأثيرٍ مُرصدة لاستدعاء القارئ[1]، فالمتكلم يُغيّب

(١) ينظر: بلاغة الصمت من خلال نماذج من الرواية العربية، شبكة الانترنت:
WWW.M-A-ARABIA.COM

بعض الالفاظ والجمل ويقتصد فيها من أجل إيصال دلالة/ دلالات معينة مقصودة كما هو الحال في دلالة/ دلالات الجمل والالفاظ المذكورة والمقصودة.

والقرآن الكريم مليءٌ بهذا النوع من الصَّمْتِ، وهو سمةُ إعجازِهِ وبلاغتِهِ، والنَّصُّ القرآنيُّ عندما يذكر أشياء فهي تحمل دلالات معينه، والله سبحانه وتعالى يقصدها ويريد من المتلقي أن يتأمل فيها ويتدبرها، وعندما يصمتُ النَّصُّ القرآنيُّ عن أشياء أخرى فهي تحمل دلالات معينة أيضًا، واللهُ سبحانه وتعالى يقصدها ويريد من المتلقي أن يتأمل في سبب إخفائها وغيابها من النص القرآني، وما يحمله هذا الغياب من دلالات ويتدبر فيها، فكلٌّ من الذكر والغياب/ الصَّوت والصَّمْت مقصودٌ، وهو يحمل صفةً إعجازيَّةً بلاغيَّةً عاليَّةً لا يرتقي إليها أيَّ نصٍ ادبيٍّ بلاغيٍّ آخر.

الإيجازُ لغة: وجز: أوجزتُ في الأمر: اختصرتُ، تقول: أوجز فلان في كلِّ أمر، وقد أوجز الكلام والعطيَّة[١]، وأوجزْتُ الكلامَ: قصرَّته[٢]، ووَجُزَ اللفظ بالضمِّ وَجازَةً فهو وجيزٌ، أي قصيرٌ سريع الوصولِ إلى الفهم[٣].

وفي الاصطلاح: هو ((جمع المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة))[٤]، أو ((هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط))[٥]، أو هو ((اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل))[٦].

ولّما كان الإيجاز قائمًا على تقليل الكلام فهو نوعٌ من أنواع الاقتصاد اللغوي، الذي يصمت فيها المتكلم عن تفصيل الكلام وتحديده، ويجعل كلامه كالتوقيع[٧].

(١) ينظر: كتاب العين: ٦/ ١٦٦ (وجز)، وتهذيب اللغة: ١١/ ١٠٤ (وجز).
(٢) ينظر: الصحاح: ٣/ ٩٠٠ (وجز).
(٣) ينظر: المصباح المنير: ٢/ ٦٤٨ (وجز)، والقاموس المحيط: ٥٢٨ (وجز).
(٤) كتاب الحيوان: ٣/ ٨٦.
(٥) الايضاح في علوم البلاغة: ٣/ ١٧١.
(٦) الطراز: ٢/ ٨٨.
(٧) ينظر: سر الفصاحة: ٢٤٤.

فالإيجاز/ التوقيع اقتصاد وصمت، وبه عُرِّفت البلاغة[١]، وبأحد قسميه كانت شجاعة العربيَّة[٢]، وبه يتنافس الفصحاء، فإذا كان المعنى هو المقصود، وكان بالإمكان أن تؤديه بألفاظ قليلة وتصمت عن الأخرى فهو المحمود، يقول ابن سنان الخفاجي:((وإنّما المقصود هو المعاني والأغراض التي احتيج إلى العبارة عنها بالكلام، فصار اللفظ بمنزلة الطريق إلى المعاني التي هي مقصودة، وإذا كان طريقان يوصل كلُّ واحدٍ منها إلى المقصود على سواء في السهولة، إلا أنّ أحدهما أخصر وأقرب من الآخر، فلا بدَّ أنْ يكون المحمود منهما هو أخصرهما وأقربهما إلى القصد))[٣].

والإيجاز/ الصَّمْت فيه فائدةٌ للمتكلمِ والمخاطبِ، فهو يوفِّر للمتكلم الوقتَ والجهدَ في النطق، وفيه شجاعةٌ وإقدامٌ وقصبُ سبقٍ، ويفيد المخاطب بعلوق المعنى في ذهنه أسرع، وبانفتاح مخيلته على معانٍ كثيرة[٤].

ومن أبرز مظاهر الإيجاز هو الحذف

الحَذفُ لغةً: هو ((قطفُ الشيء من الطَّرف))[٥]، أي بمعنى أخذُ شيءٍ من شيء[٦].

والحَذفُ أيضًا القَطع ((حذفتُ رأسه بالسيف حذفًا إذا ضربته به فقطعت منه قطعة))[٧].

والحَذفُ: الإسقاط، ((حَذْفُ الشيء: إسقاطه، يقال: حَذَفْتُ من شَعري ومن ذنَب الدّابة أي أخذت))[٨].

(١) ينظر: كتاب الصناعتين: ١٩٣ .
(٢) ينظر الخصائص: ٢/ ٣٦٠ .
(٣) سر الفصاحة: ٢٠٦ .
(٤) ينظر: النكت في إعجاز القرآن للرماني: ٧٦-٦٦، والخطاب النقدي عند المعتزلة: ١٣٠-١٣١ .
(٥) كتاب العين: ٣/ ٢٠١ (حذف) ، وتهذيب اللغة: ٤/ ٢٧٠ (حذف) .
(٦) ينظر مقاييس اللغة: ٥/ ١٠٣ (قطف) .
(٧) جمهرة اللغة: ١/ ٥٠٨ (حذف) ، وينظر: الصحاح: ٤/ ١٣٤١ (حذف) .
(٨) الصحاح: ٤/ ١٣٤١ (حذف) .

وسنقسم المحور على قسمين:

أولًا: الصّمت عن اللفظ.

ثانيًا: الصَّمت عن الصَّوت/ الصَّمت القرائي.

أولًا: الصَّمْت عن اللفظ

يقسم النحويون والبلاغيون هذا النوع من الحذف/ الصَّمْت على أنواع ، منها:

١- الصَّمْت عن الحرف:

كثيرة هي الآيات التي فيها صمتٌ عن حرف، نختار منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [سورة يوسف: ٢٩].

صمتت الآية عن حرف النداء (يا) وتوصلت إلى نداء الاسم مباشرة[١]؛ لأنّ (يا) لنداء البعيد حقيقة أو حكمًا[٢]، ومن ثمَّ كان تركها ينسجم مع سياق الآية وجوّها، فالاقتصاد اللغوي ونداء الاسم مباشرة يدلُّ على:

١- القرب المكاني، فلا يحتاج المتكلم معها إلى (يا) التي لنداء البعيد[٣]، ومن هنا لا يجوز إرجاعها إلى النّصِّ كما فعل بعض المفسرين ذلك[٤].

٢- تلطف في الكلام، وتقريب ليوسف عليه السلام ومزيد تقدير[٥].

٣- عدم محاولة رفع الصَّوت، وشدّة التّكتم على الأمر، بدليل:

أ- ترك حرف النداء (يا)، ومخاطبة يوسف مباشرة.

ب- الطلب من يوسف الصَّمْت والكتم وعدم الحديث في الأمر.

(١) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ٢/ ٢٥١ .
(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ٤/ ٤٤٥ .
(٣) ينظر: الكشاف: ٢/ ٤٦١ .
(٤) ينظر: مجمع البيان: ٥/ ٣٤٧ ، وتفسير الصافي: ٤/ ١٣ ، والتفسير الآصفي: ٢/ ١٣١ .
(٥) ينظر: الكشاف: ٥/ ٤٦١ ، والبحر المحيط: ٦/ ٢٦٢ .

ت- عدم ذكر الأمر، والإشارة إليه بـ(هذا)، فالذي يسترق السّمع لا يعلم ماذا حدث، وما الشيء الذي طُلب من يوسف الإعراض عنه.

ث- الاختصار والإيجاز في الكلام، وعدم التفصيل فيه، ومحاولة العزيز إنهاء الحادثة بسرعة، ومن ثمَّ ينتهي السَّرْد في هذا المشهد مباشرة[1].

ج- وفي موضعٍ آخر في القرآن الكريم، صُمت عن حرف (الفاء) في مواضع متتالية، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾[سورة البقرة: ٦٧-٧١].

ح- وهذا الاقتصاد يدل على سرعة الحوار الذي دار بين النبي موسى ﷺ وبين بني إسرائيل، ولهذه السرعة في الحوار دلالة أيضًا، فسرعة قول بني إسرائيل تدلُّ على عدم تعقلهم، وسرعة انفعالهم ، وعدم اطمئنانهم لكلام موسى j، في حين أنّ سرعة كلام النبي موسى ﷺ تدلّ على قوّة إيمانه بالله تعالى ، وتسليمه لأوامره ، ويقينه بكلام الله وعدم التراخي في تنفيذه، ويدلُّ على محاولة قطع كلامهم وعدم الاستمرار في الظنون والطعون كما قالوا (أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا)، ولأنّ أي تمهل في الجواب ممكن أنْ يؤكد ظنونهم وطعونهم[2].

خ- ومن هنا يكون الصَّمْت (عن حرف) أكثر دلالة من الكلام/ الصَّوت وأسرع، وهذا ما أكده الجرجاني في قوله السابق[3].

(١) ينظر: الحذف بين النحويين والبلاغيين، دراسة تطبيقية: ٢٥١ .
(٢) ينظر: الحذف بين النحويين والبلاغيين: ٢٥٨-٢٥٩ .
(٣) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٢١ .

٢- الصَّمْت عن الفعل

من الآيات التي صُمت فيها عن الفعل ولم يُذكر، قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[سورة البقرة: ٢٤٣].

فقد وقع في الآية صمتٌ بين قول الله بالإماتة والإحياء؛ لأنَّ التدرج والتسلسل يقتضي أنْ يكون بعد قول الله تعالى وأمرهم بالموت إخبار بحصول الموت (فماتوا) أولًا ثُمَّ يكون الإحياء[١].

فهذه المرحلة (فماتوا) ليست محذوفةً أو ساقطةً، وإنّما هي مسكوت عنها لدلالات، منها:

١- سرعة حدوث الموت، من غير أنْ يكون هناك فاصل زمني بين القول والفعل، فكأنّ قول الله لهم (موتوا) هو الموت نفسه، لذلك جاء بعدها فعل الإحياء.

٢- أنّ قول الله قطعي الحدوث، ولا مجال فيه للتخلف أو عدم التحقق، فلما قال لهم موتوا دلَّ ذلك على حدوث الموت فعلًا، بلا تأخر أو تردد، بدليل أنّه أحياهم فيما بعد، فدل هذا على تحقق الموت فعلًا[٢].

٣- لّما كان القول كلامًا – حتى لو كان مجازًا – والفعلُ صمتًا، فهذا يدلُّ على أنَّ القول/ الكلام يساوي الفعل/ الصَّمْت. وبتعبير آخر: إنّ الصَّمْت له القدرة نفسها التي في الكلام.

٤- بيانُ الفضلِ يكون بالإحياء أكثر من الإماتة، لذلك صُمِتَ عن ذكر (فماتوا) وانتقل مباشرة لـ (أحياهم)، لذلك عبّر بعدها مباشرة عن هذا الفضل، فقال ﴿إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾، فالصَّمْت عن (فماتوا) يتناسب مع ذكر الفضل.

٥- نسبة الإحياء والإماتة إلى الله تعالى (فقال لهم موتوا)، (أحياهم)، وصُمت عن (فماتوا) المسندة إليهم، وفي ذلك مزيد بيانٍ ودلالةٍ على قدرة الله تعالى والله أعلم .

(١) ينظر: إملاء ما منَّ به الرحمن: ١/ ١٠١ .
(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٦/ ٤٩٧ .

٦- ومن الآيات التي صُمت فيها عن الفعل أيضًا قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[سورة الأنعام: ٢٧]، ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [سورة الأنعام: من: ٩٣]، ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾[سورة السجدة: ١٢]، ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أو قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أو كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾[سورة الرعد: من: ٣١]، وغيرها[١].

٧- فقد صُمِت في الآيات عن جواب (لو) ، وهذا أبلغ من الإفصاح والذكر له؛ لأنَّ في الصَّمْت عن ذكره يذهب خاطر المخاطب وذهنه إلى كلِّ ضرب من الوعيد، فيكون أخوف له ممّا لو ذُكر، فإنّه يكون محددًا[٢]، وأنّ السامع يوطن نفسه ويستعدّ له، بخلاف ما إذا كان مسكوتًا عنه ومجهولًا، فيكون عذابه أشدّ وأعظم، يقول أبو البركات الأنباري: ((حذف الجواب أبلغ في المعنى من إظهاره، ألا ترى أنك لو قلت لعبدك "والله لئن قمت إليك" وسكتَّ عن الجواب ذهب فكره إلى أنواع من العقوبة والمكروه من القتل والقطع والضرب والكسر، فإذا تمثلَتْ في فكره أنواع العقوبات وتكاثرت عظمت الحال في نفسه ولم يعلم أيها يتقي؛ فكان أبلغ في رَدْعِهِ وزَجْرِهِ عما يُكْرَه منه، ولو قلت "والله لئن قمت إليك لأضربنك" وأظهرت الجواب لم يذهب فكره إلى نوع من المكروه سوى الضرب؛ فكان ذلك دون حذف الجواب في نفسه؛ لأنه قد وَطَّنَ له نفسَه فيسهل ذلك عليه، قال كثير:

٨- وقلت له: يا عزَّ كُلُّ مُلِمَّةٍ إذا وُطِّنَتْ يومًا لها النفسُ ذَلَّتِ))[٣]

(١) ينظر: الآيات : الأنعام: ٣٠ ، الأنفال: ٥٠ ، سبأ: ٣١.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٤/ ١٧٩، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١/ ١٤٨، والتحرير والتنوير: ٢/ ٩٤.

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: ٢/ ٤٦١-٤٦٢ ، والبيت لكثير عَزَّة، وصدر البيت في الديوان: فقلتُ لها يا عزُّ كلُّ مصيبةٍ. ينظر: ديوان كُثَيِّر عَزَّة: ٩٧.

فالإنسان مهما تصور أمورًا فإنّه يبقى يتصور ما هو أشدّ وأعظم منها مما يمكن يحصل له[١]، وفي هذا يكون العذاب النفسي في توقع أو تخيّل ما يحدث لا يقل عن العذاب الحقيقي نفسه الذي سيُشاهدهُ ويراه[٢]، في حين ((لا تجد النفس ذلك فيما لو زال الإبهام والإجمال؛ لأنّه سيهون خطره لدى النّفس وإنْ كان عظيما ... فإنّ كُلَّ معلومٍ هيّنٌ لكونه محصورًا))[٣]، وعلى هذا الأساس فإنَّ المسكوت عنه يكون مقصودًا[٤]، وهو أكثر أهميَّة وتأثيرًا في النفس من المذكور، وأهميتُهُ تأتي من فتح باب المخيلة لتوقع الجواب الذي تضيق اللغة عن وصفه ((فَجُعِلَ الْحَذْفُ دَلِيلًا على ضيق الْكَلَامِ عَنْ وَصْفِ مَا يُشَاهِدُونَهُ وَتُرِكَتِ النُّفُوسُ تُقَدِّرُ مَا شَاءَتْهُ وَلَا تَبْلُغُ مَعَ ذَلِكَ كُنْهَ مَا هُنَالِكَ))[٥]،

٩- فالإنسان مهما تصور أمورًا فإنّه يبقى يتصور ما هو أشدّ وأعظم منها مما يمكن يحصل له[٦]، وفي هذا يكون العذاب النفسي في توقع ، أو تخيّل ما يحدث لا يقل عن العذاب الحقيقي نفسه الذي سيُشاهدهُ ويراه[٧]. في حين ((لا تجد النفس ذلك فيما لو زال الإبهام والإجمال؛ لأنّه سيهون خطره لدى النّفس وإنْ كان عظيما ... فإنّ كُلَّ معلومٍ هيّنٌ لكونه محصوراً))[٨]، وعلى هذا الأساس فإنَّ المسكوت عنه يكون مقصوداً[٩]، وهو أكثر أهميَّة وتأثيرًا في النفس من المذكور، وأهميتُهُ تأتي من فتح باب المخيلة لتوقع الجواب الذي تضيق اللغة عن وصفه ((فَجُعِلَ الْحَذْفُ دَلِيلًا على ضيق الْكَلَامِ عَنْ وَصْفِ مَا يُشَاهِدُونَهُ وَتُرِكَتِ النُّفُوسُ تُقَدِّرُ مَا شَاءَتْهُ وَلَا تَبْلُغُ مَعَ ذَلِكَ كُنْهَ مَا هُنَالِكَ))[١٠]؛ لذلك مصطلح الاكتفاء أو

(١) ينظر: إملاء ما منَّ به الرحمن: ١/ ٧٣، والأطول (شرح تلخيص مفتاح العلوم): ٢/ ٧٠ .
(٢) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢/ ٢٩٣ .
(٣) الأُسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: ١٣٠-١٣١ .
(٤) ينظر: فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن: ١٨٨ .
(٥) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٣/ ١٩٠ .
(٦) ينظر: إملاء ما منَّ به الرحمن: ١/ ٧٣، والأطول (شرح تلخيص مفتاح العلوم): ٢/ ٧٠ .
(٧) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢/ ٢٩٣ .
(٨) الأُسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: ١٣٠-١٣١ .
(٩) ينظر: فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن: ١٨٨ .
(١٠) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٣/ ١٩٠ .

الاستغناء لا ينسجم تمامًا في هذه المواضع؛ لأنَّ النَّصَّ لا يكتفي بالمذكور فقط ولا يستغني عن المحذوف/ المسكوت عنه، ولا بدَّ من الذهاب وراء المسكوت عنه؛ لأنَّ قوة النَّصّ وشدّته تأتي من البحث عن هذا المسكوت عنه وتخيله، وهذا يُعطي دورًا كبيرًا لمتلقي النَّص وإشراكه في مجرياته عبر تقديراته لهذا المسكوت عنه، وهذا ما تهتم به نظريَّة التلقي[١].

ثانيًا: الصّمت عن الصَّوت/ الصَّمْت القرائي:

المقصود من الصَّمْت القرائي: الوقف في تعريفات أرباب التجويد والقراءات، وهو التوقف عن القراءةِ زمنًا معينًا لأجل التركيز على معنى مقصود لا يتبين إلّا بالوقف/ الصَّمْت، أو لانقطاع النفس.

وللوقف تعلقٌ بالتفسير؛ إذ إنَّ التفسير بيان مراد الله من كلامه، والوقف فرع عن المعنى المفهوم في ذهن السامع، أي إنَّ الوقفَ يدخل في تفسير الكلام، ولذا قيل (من وقف فقد فسَّر)[٢]، ويرى الدكتور حسام النعيمي أنَّ للسّكتة دورًا في تغيير المعنى، فيقول: ((إنَّ تغيير المعنى – فيما تقدم – لم يكن بسبب صوت منطوق في السلسة الكلاميَّة، بل بسبب التوقف عن النطق ، ثم مواصلته، فالمؤثر في المعنى انعدام الصَّوت اللغوي وليس وجود الصَّوت اللغوي))[٣]، فالوقف ليس قطع الصَّوت في حقيقته، بل هو كلامٌ صامت يوضح معنى الكلام الصَّائت، أي إنَّ الوقف/ الصَّمْت بؤرةٌ لتركيز المعنى، وعليه فهذا الوقف اقتصاد لغوي لتركيز المعنى ، يقول السخاوي: ((وقد اختار العلماء وأئمة القراء تبيين معاني كلام الله عز وجل ، وتكميل معانيه، وجعلوا الوقف منبهًا على المعنى، ومفصلًا بعضه من بعض، وبذلك تلذ التلاوة، ويحصل الفهم والدراية، ويتضح منهاج الهداية))[٤].

(١) ينظر: مستويات السَّرَّد الوصفي القرآني، دراسة أسلوبية: ٢٥٢ .
(٢) ينظر: وقف البيان في القرآن الكريم: ١٧٢ (بحث).
(٣) أبحاث في أصوات العربية: ٦٩ ، وينظر: وقف البيان في القرآن الكريم: ١٧٦ (بحث) .
(٤) جمال القراء وكمال الإقراء: ٦٧٤ .

وللصمت القرآني/ الوقف أنواع متعددة، منها:

أولًا: الوقف الكافي:

وهو ما يحسُن الوقف عليه والابتداء بما بعده، غير أنَّ الذي بعده متعلق من جهة المعنى دون اللفظ، فهو منقطعٌ لفظًا متصلٌ معنى[١]، ويسمى الصالح والمفهوم والجائز[٢].

فالوقف/ الاقتصاد الصوتي يحسُن ليس لأنَّ ما بعده لا تعلق له بما قبله في اللفظ فحسب، ولكن لإعطاء السامع وقتًا لفهم الجملة الأولى والتدبر فيها، وإثارته لتكوين سؤال في ذهنه عن متعلقات الجملة الأولى وأحوالها، فتأتي الجملة الثانية للإجابة عن هذا السؤال المتخيل، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٦]، فالمعنى في بداية الأمر قد تمَّ، فيأتي الوقف/ الصَّمْت ليشدّد على معنى المساواة بين الإنذار وعدمه، ويُعطي السامع وقتًا للتعجب من هؤلاء، ومن ثمَّ ينشأ سؤال في ذهنه: لماذا لا يؤمن هؤلاء سواء بالإنذار أم بعدم الإنذار؟ هنا تأتي الجملة/ الآية الثانية لتُجيب عن هذا السؤال التخيُّلي الناشئ من الوقفة القرائيَّة ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ٧]، يقول ابن عاشور: (((خَتَمَ اللهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَعَلى سَمْعِهِمْ وَعَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوةٌ) هذه الجملة جاريةٌ مجرى التّعليل للحكم السّابق في قوله تعالى: ﴿ سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة البقرة:٦] وبيانٌ لسببه في الواقع ليدفع بذلك تعجّب المتعجّبين من استواء الإنذار وعدمه عندهم ، ومن عدم نفوذ الإيمان إلى نفوسهم مع وضوح دلائله، فإذا عُلم أَنَّ على قلوبهم ختمًا وعلى أسماعهم، وأَنَّ على أبصارهم غشاوةً علم سبب ذلك كلّه وبطل العجب، فالجملة استئنافٌ بيانيٌّ يفيد جواب سائلٍ يسأل عن سبب كونهم لا يؤمنون))[٣]، وقد اشار ابن الأثير إلى ذلك وسمّاه بـ(حذف السؤال المقدّر)[٤].

(١) ينظر: النشر في القراءات العشر: ١/ ٢٢٨ ، والقطع والائتناف: ٣٤ .
(٢) ينظر: المكتفى في الوقف والابتدا: ١٠، وجمال القراءة وكمال الإقراء: ٢/ ٥٦٣ .
(٣) التحرير والتنوير: ١/ ٢٥٤ .
(٤) المثل السائر: ٢/ ٢٢١ ، وينظر: المكتفى في الوقف والابتدا: ١٩ .

وقد يكون الوقف كافيًا في وسط الآية[١]، كالوقف على (أشهدوا خلقهم) من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [سورة الزخرف: ١٩].

فالاقتصاد اللغوي/ الوقف على (أشهدوا خلقهم) يُعطي وقتًا للتأمل في السؤال والتَّفكّر به، والالتفات إلى جوابه، ليحصل الإنكار والتوبيخ من السؤال. فالسؤال فيه معنى التوبيخ، وفيه معنى الوعيد أيضًا، وكتابة الشهادة كناية عن تحقق العقاب على كذبهم[٢].

ثانيًا: وقف البيان:

وهو ((أنْ يُبين معنى لا يُفهم بدونه))[٣]، أو هو ((الوقف على كلمة لها تعلُّق معنوي، ولفظي بما بعدها، للإشارة إلى معنىً معتبرٍ قد لا يُفهم إلّا بالوقف، ثمّ الاستئناف بما بعده))[٤].

فوقف البيان يكون على ما له تعلّق بما بعده في اللفظ والمعنى، ووصلهما معًا يوهم خلاف المعنى المراد، وبدء القراءة من الكلمة التي تلي الكلمة الموقوف عليها مباشرةً من غير إعادة أيّ جزءٍ من الكلام السابق. فهو يختلف عن الوقف الحسن[٥].

ولوقف البيان أثرٌ كبيرٌ في فهم المعنى وتحديده وتبيينه، فهو يتعلق بدقائق علم التفسير ويساعد على فهم كثير من الآيات بشكلٍ دقيقٍ ومنسجم مع ما قبلها وما بعدها من الآيات.

(١) ينظر: النشر في القراءات العشر: ١/ ٢٢٨ ، و أثر اختلاف القراءات القرآنيّة في الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل: ٢٩٢ (بحث).
(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٥/ ١٨٤ .
(٣) منار الهدى: ١٠ .
(٤) وقف البيان في القرآن: ٢٠١ (بحث) .
(٥) ينظر: القطع والائتناف: ٥٧ .

ويقوم وقف البيان بتحديد معانٍ دلاليَّة كثيرة، منها :

١- تحديد مرجع الضمير:

قال تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [سورة الفتح:٩] .

فالضمير الأول والثاني عائد على النبي ﷺ أي: بمعنى تنصروه وتُعظموه، والضمير الثالث عائد على الله سبحانه وتعالى بمعنى تنزهوه[١]، وعلى هذا فالوقف/ الصَّمْت على كلمة (وتوقروه) يفصل بين مرجعَي الضمائر الثلاثة، فلو وصل القارئ القراءة لفُهِمَ خلاف المعنى، فالصَّمْت هنا يقوم بدور مهم في تحديد المعنى، وقد صرّح بهذا الوقف مجموعة من المفسرين وعلماء الوقف والابتداء وإنْ اختلفوا في تسميته بين التام والكافي[٢]، والصحيح أنّه وقفُ بيانٍ لتعلقه المعنوي واللفظي بما قبله[٣].

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة المائدة: ٢٥].

أُختُلِفَ في كلمة (وأخي) هل هي معطوفة على (الياء) في قوله (إنّي)، أو أنّها معطوفة على (نفسي). يقول أبو حيان: ((والظاهر أنَّ وأخي معطوف على نفسي، ويحتمل أنْ يكون وأخي مرفوعًا بالابتداء، والخبر محذوف لدلالة ما قبله عليه أي: وأخي لا يملك إلا نفسَه، فيكون قد عطف جملة غير مؤكدة على جملة مؤكدة، أو منصوبًا عطفًا على اسم إنَّ أي: وإنَّ أخي لا يملك إلا نفسَه، والخبر محذوف، ويكون قد عطف الاسم والخبر على الخبر نحو: إنَّ زيدًا قائمٌ وعمرًا شاخصٌ، أي: وإنَّ عمرا شاخصٌ. وأجاز ابن عطيَّة والزمخشري أنْ يكون وأخي مرفوعا عطفا على الضمير المستكن في أمْلِكُ، وأجاز ذلك للفصل بينهما بالمفعول

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه : ٥/ ٢١، وبحر العلوم: ٣/ ٣١٣، والتبيان في تفسير القرآن: ٩/ ٣٠٨، ومجمع البيان: ٩/ ١٧٠ .

(٢) ينظر: القطع والائتناف: ٤٨٧، والكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٩/ ٤٤، ومعالم التنزيل: ٧/ ٢٩٩، ومجمع البيان: ٩/ ١٧٠، والجامع لأحكام القرآن: ١٦/ ٢٦٧، ومنار الهدى: ٧٢٦ .

(٣) ينظر: وقف البيان في القرآن الكريم: ٢١٦ (بحث) .

المحصورِ))[1].

فعندما يقتصد القارئ في صوته ويقف على (نفسي) تكون (وأخي) جملة جديدة مبتدأ وخبره مسكوت عنه، أي : وأخي لا يملك إلّا نفسه ، أمّا إذا وقف/ صمت القارئ على (وأخي) فيكون معنى الجملة : إنّي أملك نفسي وأملك أخي؛ ولهذا فالوقف/ الصَّمْت له أثرٌ مهم في تحديد المعطوف عليه.

إيجاز القصر:

إيجاز القصر: هو تقليل الألفاظ وتكثير المعاني من غير حذفٍ[2]، فالإيجاز عبارةٌ عن اقتصاد لغوي وصمتٍ عن الألفاظ الكثيرة وتفاصيل الكلام، والاجتزاء بالقليل منها ليشمل الجميع. ويُنقل عن الخليل قوله: ((البلاغة ما قَرُبَ طرفاه وبَعُدَ منتهاه))[3]، ونُقِل عنه أيضًا قوله: ((البلاغةُ كلمةٌ تكشفُ عن البقيَّة))[4].

ويقسّم ابن الأثير إيجاز القصر على قسمين:

الأول: ما دلَّ على محتملات متعددة ويمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدَّتها[5].

وهذا النوع ورد كثيرًا في القرآن الكريم؛ لأنَّ كثيرًا من ألفاظه تكون عامّة فيصلح أنْ يقع تحتها كثير من الأشياء، لكنَّ النّص القرآني اختزلها وأوجزها في كلمات قليلة ، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [سورة طه: ٧٨]، فقد عبَّرَ عن الذي حدثَ لهم من الغرق والأمور الهائلة والهلاك وغيرها ممّا لا يعلمه إلّا الله بقوله: ﴿مَا غَشِيَهُمْ ﴾[6]، يقول ابن الأثير ((فقوله: ﴿ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾من

(١) البحر المحيط: ٤/ ٢٢١ ، وينظر: الكشاف: ١/ ٦٢٢، والمحرر الوجيز: ٢/ ١٧٦ .
(٢) ينظر: كتاب الحيوان: ٣/ ٨٦، والمثل السائر: ٢/ ٢٦٠، والإيضاح في علوم البلاغة : ٣/ ١٧١، والطراز: ٢/ ٨٨ .
(٣) العمدة: ٢٤٥ .
(٤) العمدة: ٢٤٢ .
(٥) ينظر: المثل السائر: ٢/ ٢٦٠ .
(٦) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤/ ٣٤ ، والبحر المديد: ٣/ ٤٠٧ .

جوامع الكلم التي يستدل على قلتها بالمعاني الكثيرة))[1].

فالإيجاز فيه:

١- صمتٌ عن ذكر تفاصيل ما وقع لهم من صنوف الأهوال والخطوب، وهذا فيه اختصار وتقليلٌ للكلام، وفي ذلك ما فيه من البلاغة والحسن وروعة الأسلوب.

٢- فتح باب المخيلة على معرفة هذا المجهول والتفاصيل التي صمتَ عنها النّص ولم يذكرها، ومن ثمَّ تنفتح آفاق السامع أو القارئ، وكُلٌّ يسبح في خياله لمعرفة ما جرى لفرعون وجنوده.

٣- الصَّمْت عن التفاصيل فيه مزيد تعظيمٍ وتهويلٍ لما حدث لفرعون وجنوده، يقول الشيخ الطبرسي: ((﴿ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ ، أي جاءهم من البحر ما جاءهم، ولحقهم منه ما لحقهم، وفيه تعظيم للأمر))[2]، فالصَّمْت عن التفاصيل يُبقي نفسيَّة المستكبرين في قلقٍ وتخوّفٍ من عذابٍ غير محدد الملامح، فيكون في نفوسهم أوقع.

وكذلك الحال في قوله تعالى: ﴿ فَأَوحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوحَى ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴾[سورة النجم: ١٠-١٥]، فقد أوجز كُلّ ما أوحى إلى عبده، وكلّ ما يغشى السدّرة لتعظيم الأمر وتفخيمه[3].

المبحث الثاني: السَّرْد الاقتصادي الصّمتي

السَّرْد لغة: ((سرَدَ القراءة والحديث يَسرُدُه سَرْدًا، أي: يُتابِعُ بعضَه بعضًا))[4]، والسَّرْد أيضًا: ((توالي أشياءَ كثيرةٍ يتّصل بعضها ببعضٍ))[5]، ويذكر ابن منظور معنى السَّرْد بقوله: ((السَّرْد في اللّغة: تقدمة شيءٍ إلى شيءٍ تأتي به متّسقًا بعضُه في أثر بعضٍ متتابعا، سرد

(١) المثل السائر: ٢/ ٢٧٣ .
(٢) مجمع البيان: ٧/ ٣٧ .
(٣) ينظر: مجمع البيان: ٩/ ٢٦٥، والتحرير والتنوير: ٢٧/ ٩٨ . والميزان في تفسير القرآن: ١٩/ ١٧ .
(٤) كتاب العين: ٧/ ٢٢٦ (سرد) .
(٥) مقاييس اللغة: ٣/ ١٥٧ (سرد) .

الحديث ونحوه يسرده سردًا إذا تابعه. وفلان يسرد الحديث سردًا إذا كان جيّد السّياق له... والسَّرْد: المتابع. وسرد فلانٌ الصَّوم إذا والاه وتابعهُ ... والسَّرْد: الخرزُ في الأَديم))[1].

إذن فمفهوم السَّرْد في اللغة قائم على التتابع والتَّرابط بين الأشياء، وعدم وجود فواصل بينها، فإذا انقطع هذا التَّتابع وفُقِد التَّرابط بين الأشياء توقف السَّرْد وانقطع، يقول الجوهري: ((قيل لأعرابيّ: أتَعْرِفُ الأشْهُرَ الحُرُم؟ فقال: نعم، ثلاثة سَرْدٌ، وواحدٌ فَرْدٌ. فالسَّرْد: ذُو القَعْدة وذو الحِجَّةِ والمُحرَّمُ ، والفَرْدُ: رجَبُ))[2]، فإذا حصل انقطاع في التّتابع فإنَّ السَّرْد يتوقف وينقطع.

ويعرِّفه تودوروف عِدَّة تعريفات منها: أنَّ السَّرْد عبارة عن تسلسل أو تداخل مجموعة من المقاطع السَّرْديَّة الصغيرة، أو هو: تتابعٌ للأفعال على وفق منطق معين[3]، والسَّرْد عند جيرار جينيت هو: ((عرض لحدثٍ أو متوالية من الأحداث، حقيقيَّة أو خياليَّة بواسطة اللغة، وبصفة خاصة بواسطة لغةٍ مكتوبة))[4].

وفي النقد العربي نجد تعريفات متعددة للسرد أيضا، منها تعريف الدكتور عزّ الدين إسماعيل، إذ عرّفَه بأنَّه ((نقل الحادثة من صورتها الواقعيَّة إلى صورة لغويَّة))[5]، ويعرفه الدكتور عبد الملك مرتاض بأنَّه: ((التتابع الماضي على وتيرةٍ واحدة))[6].

وعلى ضوء ما تقدّم نخلُص إلى أنَّ السَّرْد الاقتصادي الصمتي هو: انقطاعٌ ، أو إبهامٌ مؤقتٌ ، أو دائمٌ مقصودٌ في عمليَّةِ السَّرْد.

والسَّرْد الاقتصادي الصمتي وإنْ كان له حضورٌ ودلالةٌ في مجال الشخصيات والحدث والمكان، إلّا أنَّ المجال الأبرز والأكثر حضورًا هو في مجال الزمن، فـ((أهم عنصر من عناصر

(١) لسان العرب: ٣/ ٢١١ (سرد)، وينظر: القاموس المحيط: ١/ ٢٨٨ (سرد).
(٢) الصحاح: ٢/ ٤٨٧ (سرد)، وينظر: المحكم والمحيط الاعظم: ٣/ ٣٢٧ (حرم)، وأساس البلاغة: ١/ ٤٤٩ (سرد).
(٣) ينظر: التحليل البنيوي للسرد: ٧-٩، ومقولات السّرَّد العربي: ١٩، ٤٢ .
(٤) حدود السّرَّد: ٥٥ (بحث) .
(٥) الأدب وفنونه: ١٨٧ .
(٦) ألف ليلة وليلة دراسة سيميائية لحكاية حّمال بغداد: ٨٣ .

السَّرْد التي تجعل من المتن الحكائي مبنى حكائيًّا هو الزمن))[١]، وطرق استخدامه داخل القصص القرآني، لذلك آثر الباحثان التكلم في هذا المجال فقط لأهميته لدرجة أصبحت معها زمنيَّة الأحداث عنوانًا لتمييز نمط روائي من سواه[٢]، وهيمنته على باقي عناصر السَّرْد واشتماله عليها.

الزمن :

الزَّمن: هو الخيط الوهمي الذي يربط الأنشطة والأحداث داخل العمل السَّرْدي، ويضفي عليها صفة الانتظام[٣]. ويتحرك الزَّمن في العمل السَّرْدي بحركة الشخصيات ووعيها بهذا الزَّمن، فالزَّمن ما تقوم به الشَّخصيَّة[٤].

١- الاستباق: وهو ذكر السارد أو الشّخصيَّة لحدثٍ أو أحداث لم تحدث بعد[٥].

فالاستباق أو الاستشراف[٦] يقطع السَّرْد في الحكاية الأولى، وينتقل إلى الزَّمن المستقبل ليسرد الحكاية الثانية.

وتقسم الاستباقات على استباق داخلي واستباق خارجي، وسنتحدث عن الاستباق الداخلي فقد طلبًا للاختصار.

الاستباق الداخلي: وهو ذكر السارد أو الشخصيَّة لحدثٍ ، أو أحداثٍ لم تحدث بعد وأنَّ زمن الحكاية الأولى يصل إلى مجرى هذه الأحداث[٧]، أي إنَّ سعة الحكاية الثانية تحدث داخل نطاق الحكاية الأولى.

ومن الاستباقات الداخليَّة ما نجده في قصة موسى عليه السلام في سورة طه، فبعد أنْ يُعجِّل

(١) البنية السَّرَديَّة في شعر الصعاليك: ١١٢ .
(٢) ينظر: التحليل البنيوي للرواية العربيَّة: ١٥٣ .
(٣) ينظر: في نظرية الرواية: ٢٠٢ ، و٢٠٦ .
(٤) ينظر: معرفة النص: ٢٢٧-٢٥٦ ، والمصطلح السَّرَدي في النقد العربي الحديث: ٣٣٩ .
(٥) ينظر: مدخل إلى نظرية القصَّة: ٧٦، وبنية الشكل الروائي: ١٣٢، والبناء الفني في الرواية العربية في العراق: ١/ ٦٢ .
(٦) ينظر: الألسنية والنقد الأدبي: ٩٦، وبنية الشكل الروائي: ١٣٢ .
(٧) ينظر: النقد البنيوي والنص الروائي: ٢/ ٦٣ .

موسى عليه السلام إلى لقاء الله تعالى ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى ۝٨٣ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [سورة طه: ٨٣-٨٤]، إذ ينقطع التتابع الزَّمني ليأتي الاستباق والاستشراف الداخلي، ويُخبر الله تعالى نبيه موسى بأنَّ قومه قد أضلهم السامري، وأنَّهم قد فُتِنوا ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ [سورة طه: ٨٥]، ثُمَّ يعود الزَّمن إلى تسلسله المنطقي، ويعود موسى إلى قومه ويجدهم قد عبدوا العجل وأضلهم السامري كما أخبره الله تعالى.

هذا الاستباق الداخلي للأحداث مهم جدًا؛ لأنَّ فيه:

١- عتابًا من الله تعالى لموسى بسبب من استعجاله، وعدم أخذ الأمور برويَّة، فالاستعجال في كثير من الحالات والمواقف فيه فوات الغرض المنشود.

٢- فيه تربيةً لموسى عليه السلام وتعليمًا، يقول السيد الطباطبائي: ((الفاء في قوله: (فإنا قد فتنا قومك) للتعليل يُعَلَّلُ به ما يُفهم من سابق الكلام فإنَّ المفهوم من قول موسى: (هم أولاء على أثري) أنَّ قومه على أحسن حال لم يحدث فيهم ما يوجب قلقًا فكأنه قيل: لا تكن واثقًا على ما خلفتهم فيه فإنا قد فتناهم فضلوا))[١]، أي لا تغترَّ بظاهرهم، فالسنين الطويلة التي استعبدهم فيها فرعون ، والذُّلَّ الذي لاقوه منه أفسدَ طبيعتهم وأضعف استعدادهم لحمل التكاليف والصبر عليها[٢]، ومن هنا كان يجب على موسى أنْ لا يتركهم ويتعجل للقاء الله تعالى.

٣- التعجُّل بالرجوع إلى القوم، وأنْ لا يتأخر عنهم كثيرًا؛ لأنَهم عبدوا العجل ونعقوا مع أول ناعق إلى الوثنيَّة[٣].

فالاستباق الداخلي هنا أعطى دفعا معنويا لسير الأحداث، ودلالات متعددة بأقل كلمات ممكنة، وأثَّر فيها أيّما تأثير تجلى ذلك في رجوع موسى مسرعاً وهو غضبانَ أسِفًا.

(١) الميزان في تفسير القرآن: ١٤/ ١٠٠ .
(٢) ينظر: في ظلال القرآن: ٤/ ٢٣٤٧ .
(٣) ينظر: في ظلال القرآن: ٤/ ٢٣٤٧ .

المدّة، أو الاستغراق في الزمن :

وهي العلاقة التي تربط بين زمن الخطاب الذي يُقاس بالكلمات والجمل والسطور والفقرات، وبين زمن القصة التي يقاس بالثواني والدقائق والساعات والشهور والسنوات[١].

ولمّا كان من الصعب قياس هذه المدَّة، حتى وإنْ تساوى زمن القصة مع زمن الخطاب؛ لأنَّه لا يمكن إعادة السرعة التي قيلت بها تلك الاقوال[٢]، فإنَّ هذه المدَّة هي وهمٌ محض في أكثر الحالات كما يقول ميشال بوتور[٣] ، ثمَّ يرى جينيت أنَّه يجب العدول عن قياس تغيرات المدَّة إلى ملاحظة الإيقاع الزمني بالاعتماد على مظهرين أساسيين هما: تسريع السَّرْد وإبطاء السَّرْد[٤]، والذي يهمنا هنا هو عاملا التسريع، وهما الخلاصة والحذف.

١ – الخلاصة :

وهي تلخيص أحداث جرت في عدَّة أيام ، أو شهور ، أو سنوات في مقاطع سرديَّة قصيرة، وتسمى الإيجاز ، أو المجمل أيضا[٥].

والخلاصةُ سرد اقتصادي اكتناز لأحداثٍ كثيرةٍ يصمُتُ عنها السارد ليلخصها بجملٍ، أو فقراتٍ قليلةٍ، فالسارد يطوي الأزمنة طيًّا ويختزلُها، مكتفيًا بذكر مواطن العِبرة والعِظة فيها.

وللخلاصة وظائف متعددة منها[٦]:

١ – تلخيص الأحداث الطويلة التي تستغرق مراحلَ زمنيَّةً طويلةً.

٢ – تقديم عام للمشاهد والأحداث والربط بينها.

(١) ينظر: خطاب الحكاية: ١٢٣، وبنية الشكل الروائي: ١٢٠، وبنية النص السَّرَّدي: ٧٥ .
(٢) ينظر: تقنيات السَّرَّد في روايات نجم والي: ١١٤ .
(٣) ينظر: بحوث في الرواية الجديدة: ١٠٢ .
(٤) ينظر: خطاب الحكاية: ١٢٣ .
(٥) ينظر: خطاب الحكاية: ١٠٩، والبناء الفني في الرواية العربية في العراق: ٢/ ٦٥، وتقنيات السَّرَّد الروائي: ٨٤ .
(٦) ينظر: بناء الرواية: ٥٦ .

٣- الإشارة السريعة إلى الثغرات الزمنيَّة، وما وقع فيها من أحداث.

وتمثل الخلاصة سمةً مطَّردةً في تعامل السَّرْد القرآني مع زمن القصة، والقرآن ينوع في الخلاصة على وفق عناصر القصة: فاعلين وأحداثا.

ومن أمثلة الخلاصة قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [سورة يونس: ٧١-٧٣].

فالآيات الثلاث تعرض باختصار الحلقة الأخيرة من دعوة نوح عليه السلام[١]، وتصمت عن ذكر تفاصيل الإنذار والتكذيب والأساليب التي اتبعوها في صدّ النّاس عن اتباع دعوته، وتصمت عن ذكر تفاصيل صنع السفينة، ويأتي الاختصار بالخاتمة بنجاة نوح عليه السلام ومن معه، وغرق الكافرين[٢].

ولمَّا كانت القصة مسوقة للعِبرة وتسلية النبي محمد صلى الله عليه وآله بدلالة قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ﴾ أي: يا محمد صلى الله عليه وآله[٣]، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾، فناسب اختصار مجمل الأحداث وطيّها ؛ للتأكيد على هذه العِبرة من أنَّ الله قادرٌ على إهلاك الكافرين ولو كانوا جمعاً كثيرًا، ونصر المؤمنين ولو كانوا قلَّة قليلةً، ولتأكيد سهولة الاقتصاص وسرعته وأنَه لا يُعجِز الله القيام به على وجه السرعة والتمكّن من إتمامه، وباختصار الحدث وإيجازه تكون العبرة أكثر من خلال فتح مخيلة المتلقي للتأمل في كيفيَّة نجاة نوح عليه السلام ومن معه من الضعفاء وهلاك الكفرة الظلمة الأقوياء، وكيفيَّة حصول الغرق خاصة لمن يسمع القصة للمرّة الأولى، ومن هنا تكون الخلاصة عاملًا مساعدًا على تركيز العِبرة وتكثيفها.

(١) ينظر: في ظلال القرآن: ٣/ ١٨١٠ .
(٢) ينظر: في ظلال القرآن: ٣/ ١٨١٢ .
(٣) ينظر: تفسير المنار: ١١/ ٣٧٥ .

وبعد هذه الخلاصة في الآيات السابقة تأتي خلاصة أخرى في قوله تبارك وتعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴾[سورة يونس: ٧٤].

فهذه الخلاصة قد أضمرت كلَّ عناصر القصة وصمتت عنها من أسماء الفاعلين والأبطال إلى الصَّمت المكثف عن جميع الأحداث، والإشارة فقط إلى (رسلًا)، وهؤلاء الرسل قد جاؤوا بالبينات وأنَّ أقوامهم قد كذبوهم ، فهذه الوظائف الثلاث التي يشترك فيها القصص القرآني كلّه موجودة ومذكورة، ومن ثمَّ يستطيع ذهن المتلقي أنْ يُتمِّم ما سكت عنه النص بالمقارنة مع القصص الأخرى التي ذكرت كثيرًا من تفاصيل الإرسال والدعوة والبينات والتكذيب ، أمّا أسماء الرسل والبيِّنات وكيف كذبوهم بالتحديد، فكُلُّها مسكوتٌ عنها وقد وردت مجملة.

فالخلاصة هنا عمِلت على :

١- تكثيف العِبْرة والتشديد عليها بالصّمت عن جميع الشخصيات والأحداث في القصة ؛ لجعل ذهن المتلقي منصبًّا على العِبْرة المذكورة فقط ، وهذا يحدث في القراءة الأولى.

٢- وفي القراءة الثانية تنفتح مخيلة المتلقي لإتمام الثغرات ، أو الفسحات التي أوجدها النّص والربط بين جميع القصص لإكمال هذه الثغرات أو الفسحات؛ لأنَّ فيها عِبرة لأولي الألباب في المقام الأول، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة يوسف: من: ١١١]، وكما قال تعالى: ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الاعراف: من: ١٧٦].

٢- الحذف :

وهو عبارة عن إضمار جزء من أحداث القصة وتخطّيه، وكأنَّه ليس جزءًا من المتن الحكائي، فهو ((جزءٌ من النَّصِّ منعدم عمليًّا))[١]، ويسمّى أيضا الإضمار أو القطع[٢].

(١) خطاب الحكاية: ١٢٠ .

(٢) ينظر: مدخل إلى نظرية القصة: ٨٩، وبنية النص السّرَّدي: ٧٦ .

فالسارد يصمت عن أوقات زمنيَّة جرت فيها أحداث ويسكت عنها تماما، فالاقتصاد اللغوي حاضر هنا بقوة؛ لذلك عدَّها تودوروف ((وحدة من الزمن لا تقابلها أيّة وحدة من زمن الكتابة))[1] بغية تسريع السَّرْد، فالحذف/ السرد الاقتصادي يمثل أقصى سرعة يمكن أن يسير بها السَّرْد[2].

ومن شواهد الحذف/ الصمت قوله تعالى في قصة آدم ﷺ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾[سورة الحجر:٢٨-٣٠].

فقد حُذِف/ صُمِت عن الأحداث والزمن الذي خُلِق فيه آدم ﷺ [3]، ومن ثمَّ سجود الملائكة له، فهذا الحذف/ الصمت السَّرْدي للزمن والأحداث التي حصلت فيه له دور مهم داخل النص، منه:

١- فعل المشيئة الإلهي متحقق لا محالة، فلا مسوغ لتأكيد حصوله.

٢- إبراز جانب مهم من جوانب صفات الملائكة، وهي الطاعة والتسليم من دون إبطاء أو تأخير، فهم سجدوا مباشرة، امتثالًا للأمر الإلهي، بخلاف صفات الشيطان، التي هي العصيان والجدال.

ومن شواهد ذلك أيضاً قوله تعالى في قصة يوسف ﷺ: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ [سورة يوسف: ٥٤].

فالحذف/ الصَّمْت يُعرف من وجود قطع في سير الأحداث، ويُستنتَج من الثغرة الموجودة بين قول الملك ويوسف في السجن وبين خطاب الملك ليوسف مباشرة؛ وبسبب هذا الصَّمْت السَّرْدي يشعر المتلقي بأنَّ زمن الأمر لإحضار يوسف ﷺ وزمن حضوره وكلام الملك معه زمنٌ واحدٌ، لم يُفصَل بينهما بفاصل.

(١) نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير: ١٢٦ .

(٢) ينظر: الخطاب السَّرْدي عند أحلام مستغانمي: ٣٩ ، وإشكالية الزمن في النص السَّرْدي: ١٣٨ (بحث).

(٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٦/ ٣٢٧ .

ولهذا الحذف/ الصَّمْت والإيهام بتطابق الزمنين دلالته، منها:

١- هيبة الملك وقوته، والخوف من تأخير تنفيذ أوامره.

٢- سرعة المجيء بيوسف ﷺ وعدم التأخير في ذلك.

٣- شدَّة تشوق الملك لرؤية يوسف والتكلم معه، بحيث لم يُمهل السياق الذهاب إلى السجن وإخراجه، وذلك بسبب تأويله للرؤية التي أعجزت كل معبري الرؤيا في مصر.

وكذا الحال في قوله تعالى في قصة صالح ﷺ والناقة: ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾[سورة هود: ٦٤-٦٦].

فبعد أنْ عقروا الناقة وجاءت المهلة بثلاثة أيامٍ ينقطع السَّرْد والتفصيل في هذه المدَّة، وينتقل الحديث عن وقوع العقاب، فلم نعرف ماذا حدث في هذه المدَّة (المحذوفة)، ولا نعرف عن الاجراءات التي اتخذها هؤلاء القوم بعد توعدهم وإمهالهم ثلاثة أيام فقط؟ ولهذا السَّرْد الاقتصادي دلالات، منها:

١- لا أهميَّة لما فعلوه في هذه المدّة المسكوت عنها؛ لأنَّهم استمروا على كفرهم وعنادهم.

٢- كل ما يأتي به الخيال من استعدادات وتحضيرات لهذا العذاب هي غير كافية لمنعه، فالصَّمْت السَّرْدي يفتح مخيلة المتلقي على أصناف الاستعدادات، ولكنها في النتيجة غير مجدية، وأنَّ العذاب قد حلَّ بهم.

٣- لزيادة العِبرة، وعدم الفصل بين التهديد والوعيد والإمهال وبين العذاب، فلو فُصِّل الحديث في الأيام الثلاثة هذه لانشغل ذهن المتلقي فيها، ولم يربط بين الوعيد والتهديد وبين وقوع العذاب بهم ونجاة صالح (عليه السلام) والذين آمنوا معه. والله أعلم.

الخاتمة

١- تبيّنَ أنَّ الصَّمْتَ ميتا لغة عاليةٍ يشترك في أدائها السكوت ، أو الصَّوت الذي يتجاوز معنى المفردات، ومن هنا كان الإيجاز والحذف صمتًا.

٢- الإيجازُ صمتٌ واقتصاد لغوي مكثف، فالمتكلم يصمت عن بيان تفصيل كلامه، ويكتفي بكلماتٍ قليلةٍ تاركًا المتلقي يُكملُ ما صمت عنه، فالصَّمْت يمنع الجملةَ من تمامها ليفتحها على الإيحاء والتأويل والتخييل، وبهذا المعنى يكون الصَّمْتُ أساسا للقيمة الجماليّة لأيِّ أثرٍ فنيٍّ، والقرآنُ الكريمُ قائمٌ في معظمِ آياتهِ على الإيجازِ، وهو يُحيلُ على فضاءاتٍ نصيّةٍ غيرِ مكتملةٍ، مُشركا القارئ في إتمامها.

٣- تبيّنَ أنَّ الصَّمْتَ القرائيَّ من أنواع الصَّمْتِ المهمّةِ في القرآنِ الكريم، ويعتمدُ عليه المعنى كثيرًا، ويجب التعامل معه بفكرٍ وإحساسٍ عميقٍ.

٤- تبيّنَ أنَّ الصَّمْتَ/ الوقفَ الكافي ليس لأنَّ ما بعده له تعلقٌ بما قبله في اللفظ فقط؛ بل لإعطاء الوقت الكافي والمناسب للسامع لتفهم الجملةِ الأولى وتدبّرها ، وتحريكِ ذهنهِ بمجموعةٍ من الأسئلةِ وتشويقهِ إلى جوابِها، ومن ثمَّ تُستأنفُ القراءة فتأتي الجملةُ الثانيةُ جوابًا للأسئلة المثارة في ذهنِ السامع.

٥- صمتُ/ وقفُ البيان من الوقوفات المهمّةِ التي تحتاجُ إلى مزيدٍ من الاهتمام من لدن قُرّاء القرآن الكريم، ولا بدَّ للقارئ من مراجعة بعض التفاسير ليتمكن من تحديد وقفات البيان بشكلٍ صحيحٍ، وأنَّ القراءةَ السريعةَ تُضيّعُ كثيرًا من المعاني.

٦- تبيّنَ أنَّ السَّرد الاقتصادي الصمتي تقنيّةٌ مهمّةٌ مستعملةٌ بكثرةٍ داخل السَّرد القرآنيّ لتحقيق المفاجأة ، وشدّ القارئ أو المستمع إلى إتمام القصّة لمعرفة تفصيل ما استُبِق من أحداث أو نهاية ما ذُكر.

٧- تبيّنَ أنَّ السَّردَ القرآنيّ يستخدمُ تقنيّةَ الخُلاصةَ والصَّمْتَ/ الحذفَ بشكلٍ واسع؛ وذلك لتقديم مواطنَ العِبرةِ والعِظةِ بحسب السياق الذي ترد فيه والعِبرةِ التي تُرتجى

مستغنيًا عن ذكر تفاصيل باقي القصّة.

هذه أهمُّ النتائج التي توصل إليها البحث وقد أجملتها وعرضتها بإيجازٍ تاركا التفاصيل وبعض النتائج الأُخرى البسيطة إلى ما ذُكر في ثنايا البحث.

والحمدُ للهِ أولًا وآخرًا، وصلى الله على خيرِ خلقهِ أجمعين، محمّدٍ وآلهِ الطيبيَن الطاهرينَ.

المصادر و المراجع

١. القرآن الكريم

٢. أبحاث في أصوات العربية، د. حسام النعيميّ، دار الشؤون الثقافيّة العامّة، بغداد، ط١، ١٩٩٨م.

٣. الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطيّ (ت:٩١١هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م.

٤. أثر اختلاف القراءات القرآنية في الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، عبد الرحمن الجمل، مجلة جامعة النجاح، (العلوم الانسانيّة)، مج: ١٨، عدد:١، ٢٠٠٤م.

٥. الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، د. محمد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

٦. الأطول (شرح تلخيص مفتاح العلوم)، إبراهيم بن محمد حنفي (ت:٩٤٣هـ)، تح: د. عبد الحميد الهنداويّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٧. إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، أبو البقاء العكبريّ (ت:٦١٦هـ)، مؤسسة الصادق، طهران، ودار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٣٧٩هـ.

٨. الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن القزويني (ت:٧٣٩هـ)، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط٣، (د.ت).

٩. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الاندلسيّ (ت:٧٤٥هـ)، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٠. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد بن محمد الحسني الأنجري (ت:١٢٢٤هـ)، تح: أحمد بن عبد الله القرشي رسلان، نشره الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩هـ.

١١. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين الزركشيّ(ت: ٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٥٧م.

١٢. البرهان في وجوه البيان، اسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب (ت: ٣٣٥هـ)، تح: د. خديجة الحديثيّ، ود. أحمد مطلوب، بغداد، ١٩٦٧م.

١٣. بلاغة الصَّمْت في التعبير المسرحيّ، أبو الحسن سلام، مجلة الحوار المتمدن الالكترونية، عدد٢٦٠٩ ، ٢٠٠٩ ، WWW.ALHEWAR.ORG.

١٤. بلاغة الصَّمْت من خلال نماذج الرواية العربيّة، د. علي عبيد، شبكة الانترنت بتاريخ: ١٦/ ٥/ ٢٠١٣م، WWW.M-A-ARABIA.COM.

١٥. بنية العقل العربي، د محمّد عابد الجابريّ، مركز دراسات الوحدة العربيّة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٥م .

١٦. البيان والتبين، عمرو بن بحر الجاحظ (ت:٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ .

١٧. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي (ت:١٢٠٥هـ)، تح: مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٧م .

١٨. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد-التحرير والتنوير- ، محمّد الطاهر بن عاشور التونسيّ (ت:١٣٩٣هـ)، الدار التونسيّة للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

١٩. التحليل البنيوي للرواية العربيَّة، الدكتورة: فوزيَّة لعيوس غازي الجابري، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان، ط١، ٢٠١١م.

٢٠. التفسير الآصفي، محسن الفيض الكاشاني، (ت: ١٠٩١هـ)، تح: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، قم، ط١، ١٤١٨هـ .

٢١. تفسير الصافي، محسن الفيض الكاشاني، مكتبة الصدر، طهران، ط٣، ١٤١٥هـ.

٢٢. التفسير الكبير – مفاتيح الغيب، محمّد بن عمر الملقب بالفخر الرازي (ت:٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٢٣. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري الهروي (ت: ٣٧٠هـ)، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م .

٢٤. جمال القراء وكمال الإقراء، علي بن محمد السخاوي (ت:٦٤٣هـ)، تح: مروان العطيّة، ود. محسن خرابة، دار المأمون للتراث، دمشق- بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٢٥. حدود السَّرْد ، جيرار جينيت، تر: بنعيسى بو حمالة، مجلة آفاق، المغرب، عدد: ٨-٩، ١٩٨٨م.

٢٦. الحذف بين النحويين والبلاغيين، دراسة تطبيقية، حيدر حسين عبيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٣م.

٢٧. حلية المحاضرة في صناعة الشعر، محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي (ت:٣٨٨هـ)، تح: د. جعفر الكتاني، بغداد، ١٩٧٩م .

٢٨. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت:١٠٩٣هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٢٩. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت:٣٩٢هـ)، تح: محمّد على النجار، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، مصر، ط٤، ١٩٩٩م.

٣٠. الخطاب النقدي عند المعتزلة، كريم الوائلي، دار الكتب الوطنية، بغداد، ٢٠٠٦م.

٣١. دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت: ٤٧١هـ)، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م.

٣٢. ديوان كُثَيِّر عزة، جمعه وشرحه: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١م.

٣٣. الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم الأنباريّ (ت:٣٢٨هـ)، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

٣٤. سر الفصاحة، عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (ت:٤٦٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

٣٥. سيميائية الكلام والصَّمْت في نماذج في الشعر العربي الحديث، أ.د. أحمد الجوة، الملتقى الدولي السادس (السيمياء والنص الأدبي)، ٢٠٠٨م.

٣٦. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت:٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٣٧. الصَّمْت بوصفه فرضا في الدراما المعاصرة، د. سافرة ناجي، جريدة الاديب، عدد:٤٣، ٢٠٠٤م.

٣٨. الطاقة الدرامية في لغة الصَّمْت المسرحي، د. حسين علي هارف، جريدة الاديب، عدد: ٧٥، ٢٠٠٥م.

٣٩. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة الحسيني العلويّ (ت:٧٤٥هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

٤٠. العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه، تح: أحمد أمين، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٥٣م .

٤١. العلامة البصرية والبُنى الرامزة، قراءة في شعر عبد الهادي الفرطوسيّ وسردياته، أ.د. عباس محمّد رضا، دار تموز للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ٢٠١٢م .

٤٢. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيروانيّ (ت:٤٦٣هـ)، تح: محمّد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٩٨١م.

٤٣. فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن، د. فتحي أحمد عامر، مطبعة الاهرام التجاريّة، القاهرة، ١٩٧٥م.

٤٤. في بلاغة الخطاب الأدبي بحث في سياسة القول، عبد الله البهلول، مطبعة التسفير الفني، صفاقس، تونس، ط١، ٢٠٠٧م.

٤٥. القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآباديّ (ت:٨١٧هـ)، تح: مكتب التراث في مؤسّسة الرسالة، بإشراف: محمّد نعيم العرقسوسيّ، مؤسّسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٨، ٢٠٠٥م.

٤٦. القطع والاستئناف، أبو جعفر النحّاس (ت: ٣٣٨هـ)، تح: أحمد خطاب العمر، مكتوب على الآلة الكاتبة، ١٩٧٦م.

٤٧. كتاب الحيوان، عمرو بن بحر الجاحظ (ت:٢٥٥هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.

٤٨. كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال العسكريّ، تح: علي محمد البجاويّ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، بيروت، ١٤١٩هـ.

٤٩. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت:١٧٥هـ)، تح: د. مهدي المخزوميّ ود. إبراهيم السامرائيّ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د.ت).

٥٠. كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه (ت:١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.

٥١. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل -تفسير الزمخشريّ، جار الله الزمخشريّ (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٥٢. لسان العرب، جمال الدين ابن منظور (ت:٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٥٣. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير (ت:٦٣٧هـ)، تح: محمد محيي عبد الحميد، المكتبة العصريّة للطباعة، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٥٤. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسيّ (ت:٥٤٨هـ)، دار الفكر ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٥٦م.

٥٥. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد النسفيّ (ت:٧١٠هـ)، تح: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٥٦. مدخل إلى الصَّمْت في النص السردي، د. محيي الدين حمودي، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خضير، بسكيرة، عدد: ٨ .

٥٧. مستويات السرد الوصفي القرآنيّ، دراسة أسلوبيّة، د. طلال خليفة سلمان، مؤسسة الرافد للمطبوعات، بغداد، ط١، ٢٠١٢م.

٥٨. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيوميّ (ت: ٧٧٠هـ)، المكتبة العلميّة، بيروت، ١٩٨٧م.

٥٩. معجم المصطلحات البلاغيّة وتطورها، د. أحمد مطلوب، مكتبة لبنان، ناشرون، ط٢، ٢٠٠٧م.

٦٠. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت:٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمّد هارون، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٩م.

٦١. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاريّ، تح: د. مازن المبارك ومحمّد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥م.

٦٢. المكتفى في الوقف والابتدا، أبو عمرو الداني (ت:٤٤٤هـ)، تح: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار عمّار، ط١، ٢٠٠١م.

٦٣. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمّد حسين الطباطبائيّ (ت:١٤٠٢هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٦٤. النشر في القراءات العشر، شمس الدين ابن الجزريّ (ت: ٨٣٣هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ٢٠٠٦م.

٦٥. نقد الشعر، قدامة بن جعفر (ت:٣٣٧هـ)، مطبعة الجوائب، قسطنطينة، ط١، ١٣٠٢هـ.

٦٦. النكت في إعجاز القرآن، (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) أبو الحسن علي بن عيسى الرمانيّ، دار المعارف، مصر، ط٣، (د.ت).

٦٧. وقف البيان في القرآن الكريم، د. محمود بن عبد الجليل رُوزن، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، عدد: ١٣، السنة: التاسعة.